الصوت اللغوي عند الإمام النحاس في كتابه إعراب القرآن
دراسة وصفية تحليلية

إبراهيم محمد أحمد عبده مهدي
أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية
كلية التربية والعلوم والآداب
جامعة عمران

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)



الصوت اللغوي عند الإمام النحاس في كتابه "إعراب القرآن"

دراسة وصفية تحليلية

إبراهيم محمد أحمد عبده مهدي
أستاذ مساعد
قسم اللغة العربية ـ كلية التربية والعلوم والآداب - جامعة عمران
abobyan1700@gmail.com

مستخلص البحث:

تتناول هذه الدراسة الصوت اللغوي عند الإمام النحاس في كتابه(إعراب القرآن), بدراسة وصفية تحليلية تسعى إلى إبراز الصوت اللغوي من خلال تتبع الإشارات الصوتية التي ذكرها لمخارج الحروف وصفاتها ومقارنتها بما ذكره العلماء القدامى كـ(الفراهيدي, وسيبويه, وابن جني), وبما أورده علماء اللغة المحدثون, ومعرفة طريقته في عرض مخارج الحروف وصفاتها, وتوضيح العلاقة بين التحليل الصوتي والإعراب والقراءات والتصريف, وتوصلت الدراسة إلى أن النحاس لم يجعل بابا مستقلا للصوت اللغوي, ولم يتطرق لمخارج الحروف والصفات من أجل الحصر والإحصاء, وإنما تناولها تناولا تطبيقيا ليوضح أثرها في الظواهر اللغوية, وتوجيه الإعراب والقراءات, وأنه اتفق مع القدامى في عدد من المخارج والصفات, واختلف مع بعضهم في تحديد بعض مخارج الأصوات كـ(الهمزة والألف), وأنه كان يربط بين المخرج والصفة والأثر الإعرابي, وأوضحت الدراسة القيمة اللغوية التطبيقية لكتاب (إعراب القرآن), واعتماده مصدرا مهما في الدراسات اللغوية.

الكلمات المفتاحية: الصوت اللغوي, إعراب القرآن, مخارج الأصوات, صفات الأصوات.

Abstract

This study examines the linguistic aspects of sound in Al-Nahhas's Iʿrāb al-Qurʾān through a descriptive and analytical approach. It seeks to highlight the linguistic treatment of sounds and trace the phonetic observations he made concerning the points of articulation and characteristics of Arabic sounds. It also compares his views with those of early Arab linguists, such as Al-Khalil, Sibawayh, and Ibn Jinni, as well as with the views of modern linguists. Furthermore, the study investigates his method of presenting the points of articulation and phonetic characteristics and clarifies the relationship between phonetic analysis, grammatical analysis, Qur'anic readings, and morphology.

The study concludes that Al-Nahhas did not devote a separate section to linguistic sounds, nor did he discuss the points of articulation and phonetic characteristics merely for the purpose of classification and enumeration. Rather, he addressed them in a practical manner to demonstrate their influence on linguistic phenomena and their role in grammatical analysis and Qur'anic readings. He agreed with the early linguists on a number of points of articulation and phonetic characteristics, while differing from them in identifying certain articulatory points, such as those of the hamzah and alif. He also established a connection between the point of articulation, the phonetic characteristic, and the grammatical effect.

The study highlights the practical linguistic value of Iʿrāb al-Qurʾān and its importance as a significant source for linguistic studies.

Keywords: phonetic sound, quraning (I'rab), articulaton points of letters (makharij), phonetic characteristics (sifat).

المقدمة:

تقوم دراسة الأصوات اللغوية على جانبين أساسيين (المخارج، والصفات) , ولا تكتمل إلا بدراستهما, ولذلك عني النحاة قديمًا وحديثًا بدراسة هذين الجانبين, فقد درس الفراهيدي بن أحمد مخارج الأصوات في كتابه (العين), ووقف على بعض صفاتها في عدة مواضع في كتابه[1]. ثم تبعه تلميذه سيبويه الذي أورد مخارج الأصوات وصفاتها بصورة مفصلة، إذ يقول في باب الإدغام: "هذا باب عدد الحروف العربية، ومخارجها، ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها، واختلافها"[2], وصولا إلى ابن جني الذي أفردها بالبحث والتفصيل في كتابه (سر صناعة الإعراب) (3), وأوردها المبرد في المقتضب [4], وابن السراج في كتابه (الأصول في النحو) [5], والزمخشري في المفصل [6]. وجاء الإمام النحاس ليوظف هذه القواعد في كتابه (إعراب القرآن) في تحليل ودراسة الظاهرة اللغوية والقرآنية، حيث حدد بعض المخارج، وبيَّن بعض الصفات أثناء حديثه عن المباحث اللغوية كالإدغام، والإبدال، وغيرها.

مشكلة البحث:

الصوت اللغوي عند الإمام النحاس لم يحظ بدراسة صوتية مستقلة –على حد علم الباحث- توضح منهجه في توظيف مخارج الأصوات وصفاتها في كتابه (إعراب القرآن) مع وجود إشارات صوتية تؤثر في توجيه الإعراب والقراءات والبنية الصرفية، وتسعى الدراسة إلى توضيح هذه الإشارات وعلاقتها بالجانب الصوتي قديما وحديثا، محاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1. ما مفهوم الصوت وأقسامه عند علماء اللغة قديما وحديثا، وكيف استخدمه النحاس في إعراب القرآن.
2. ما مخارج الأصوات التي نص عليها النحاس، أو ذكر تقاربها في كتابه (إعراب القرآن)؟
3. ما الصفات الصوتية التي وضحها، وكيف استخدمها في تفسير الظواهر اللغوية.
4. ما مدى اتفاقه واختلافه مع علماء اللغة قديما وحديثا؟

---

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال) , منها: (ج2/ص217), (ج3/ص349), (ج4/ص243), (ج7/ص186).

(2) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1408هـ – 1988م), (ج4/ص431).

(3) ابن جني, أبو الفتح عثمان, سر صناعة الإعراب, (دار الكتب العلمية –بيروت), الطبعة: الأولي 1421هـ- 2000م, (ج1/ص60).

(4) المبرد، أبو العباس محمد, المقتضب, تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، (عالم الكتب. – بيروت) , (ج1/ص192).

(5) ابن السراج, أبو بكر بن سهل, الأصول في النحو, تحقيق: عبد الحسين الفتلي، (مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت), (ج3/ص400- 401).

(6) الزمخشري، محمود بن عمر , المفصل في صنعة الإعراب, تحقيق: د. علي بو ملحم, (مكتبة الهلال – بيروت), الطبعة: الأولى، 1993م), (ص546- 547).

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

5. ما أهمية منهجه التطبيقي في الدرس الصوتي؟

أهداف الدراسة:

- بيان مفهوم الصوت، وأقسامه.
- إبراز الصوت اللغوي عند الإمام النحاس.
- حصر مخارج الأصوات وصفاتها التي أشار إليها النحاس.
- دراسة أثر الأصوات في الإعراب، والتصريف، والقراءات.
- مقارنة آراء النحاس بآراء علماء اللغة قديما، وحديثا.
- إظهار سمات المنهج الصوتي للنحاس.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية دراسة الأصوات اللغوية وتعلقها بكتاب الله تعالى, وارتباطها بفرع من فروع اللغة, وعدم وجود دراسة خاصة –حسب علم الباحث- تناولت الأصوات في كتاب (إعراب القرآن).

ومن دواعي اختيار هذه الدراسة:

1. الرغبة في خدمة كتاب الله تعالى من الناحية الصوتية.
2. تسليط الضوء على الصوت اللغوي في كتاب (إعراب القرآن) للنحاس.
3. كشف العلاقة بين الصوت والإعراب والقراءات، والتصريف.
4. الإسهام في رفد المكتبة الإسلامية بحيث يمكن الإفادة منها.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث دراسة بهذا العنوان في كتاب (إعراب القرآن)، للنحاس، وإنما وجد عدة رسائل في الكتاب، منها:

1. الخلاف بين النحاة وأثره في المعنى القرآني في إعراب القرآن، للنحاس، للطالب: طارق عبد الرزاق، دكتوراه، جامعة صنعاء.
2. دراسة اللهجات في كتاب (إعراب القرآن) للنحاس، للطالبة: الجوهرة عبد الله عبد الرحمن، جامعة الإدارة العامة لتعليم البنات-الرياض، دكتوراه.
3. جهود النحاس في القراءات، للطالب: مساهر علي خلف، جامعة تكريت.
4. الخلاف النحوي في كتاب (إعراب القرآن) للنحاس، للطالب: الفرجاني مخزوم علي، جامعة

7 أكتوبر- ليبيا.

منهج الدراسة:

اتبع الباحث في دراسة هذا الموضوع المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك لبيان الأصوات اللغوية، ومخارجها، وصفاتها عند الإمام النحاس في كتابه (إعراب القرآن)، وتتبع أثرها في الظواهر اللغوية، ومقارنتها بما ذكره علماء اللغة القدامى والمحدثون بدراسة بعض الشواهد القرآنية التي تطرق إليها النحاس وتحليلها.

خطة الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة أن تأتي في تمهيد ومبحثين، سبقتهم مشكلة الدراسة وأسئلتها، وأهدافها، وأهميتها، وخاتمة حوت النتائج والتوصيات وقائمة المصادر والمراجع.

واحتوى التمهيد تعريف الصوت، وأقسامه، وضم المبحث الأول مخارج الأصوات عن الإمام النحاس في كتابه (إعراب القرآن)، وتضمن المبحث الثاني صفات الأصوات، تلتهم خاتمة حوت أهم النتائج، والتوصيات، ثم المصادر والمراجع.

تمهيد

مفهوم الصوت و أقسامه

أولاً. مفهوم الصوت:

الصوت لغة:

عرف علماء اللغة الصوت، وأول من عرفه وبين مصدره الفراهيدي بن أحمد عندما ربط مخارج الحروف بالجرس الموسيقي، فقال في العين: "الجَرسُ: مصدر الصَّوتِ المجروس، والجَرسُ: الصَّوتُ نفسه، وجَرَستُ الكلام: تكلَّمتُ به. وجَرسُ الحَرف: نغمة الصَّوتِ"[1], وجعل الصوت وسيلة للدعاء بقوله: "صَوَّتَ فلانٌ (بفلان) تصويتا، أي دَعاه"[2], فاستخدم المصدر تصويتا؛ ليبين أن في الصوت قوة وتكرار الفعل، وأورده ابن سيدة بمعنى نادى: "صات ويصُوت ويصات صوتا وأصات وصوت به كله نادى[3], فهو عام غير مختص، يقال سمعت صوت الرجل وصوت الحمار [4].

اصطلاحًا:

(1) الفراهيدي، مصدر سابق، مادة (جرس)، (ج6/ص51).

(2) الفراهيدي، مصدر سابق، مادة (صوت)، (ج7/ص146).

(3) ابن سيدة، أبو الحسن علي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العلمية – بيروت) , الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2000م, مادة (صوت), (ج8/ص368).

(4) ابن جني، مصدر سابق، (ج1/ص23).

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

تطور تعريف الصوت في اصطلاح العلماء, حيث جعله الجاحظ وسيلة وأداة اللفظ, وشبهه بالآلة يستعملها المتحدث ليكون الألفاظ, فهو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف, ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف(1), أما ابن جني فقد بيّن عملية حدوث الصوت, فهو ينتج من خلال مرور الهواء واصطدامه بالمخارج, حيث يقول: "الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها"(2), أما الدراسات الصوتية الحديثة, فقد قدمت مفهوم الصوت بطريقة علمية حيث ركز اللغوي الفرنسي فندريس على استقبال الصوت, وأثره الواقع على الأذن الناتج عن حركات ذبذبية للهواء, والذبذبات في اللغة يحدثها الجهاز الصوتي للمتكلم"(3), وهو المادة الخام للكلام الإنساني"(4).

يظهر للباحث بأن الجاحظ جعل الصوت آلة وأداة، وجاء بعده ابن جني فوضح كيفية عمل هذه الأداة، وبينت الدراسات الحديثة الأثر الذي تحدثه الأداة، وحددت قيمة المادة الصوتية.

ثانيًا. أقسام الأصوات:

قسم اللغويون القدامى الأصوات العربية حسب ملاحظتهم وتجربتهم في النطق, وتمييزهم السمعي للصوت, إذ كانوا يلاحظون نطق الصوت, وموضع خروجه, ويقارنون بين الأصوات من خلال الصفات, ففرقوا بين الحروف الصحيحة التي تعتمد على مخرج معتمد عند النطق بها, وأطلقوا عليها (الصحاح), وبين حروف المد واللين التي لا تعتمد على مخرج محقق, ووصفوها بالهوائية أو الجوفية(5), أما النحاس في كتابه (إعراب القرآن) لم يجعل لها تقسيما مستقلا كما فعل سابقوه؛ لأنه كان مهتما بأثرها في الإعراب وبنية الكلمة, إذ كان منهجه في الأصوات تطبيقيا, أما علماء اللغة المحدثون فقد قسموها -حسب طريقة خروج الصوت, واهتزاز الوترين الصوتيين بالإضافة إلى التحليل الطيفي ووسائل التجربة- إلى صامتة وصائتة, فالأصوات الصامتة, أو الصوامت العربية هي: التي يعترض هواءها عائق في مجرى النطق(6),

(1) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبين، (دار ومكتبة الهلال- بيروت-)، عام النشر 1423هـ، (ج1/ص84).
(2) ابن جني، مصدر سابق، (ج1/ص19).
(3) فندريس, جوزيف Joseph Vendryes, اللغة, تعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، (مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م), (ص43).
(4) عمر, أحمد مختار عبد الحميد, البحث اللغوي عند العرب, (عالم الكتب، الطبعة: الثامنة 2003م), (ص93).
(5) الفراهيدي, مصدر سابق, (ج1/ص75),
(6) عبد التواب, رمضان, المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي, (مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الثالثة 1417هـ - 1997م), (ص43).

وتحوي: همزة القطع ب- ت- ث- ج- ح- خ- د- ذ- ر- ز- س- ش- ص ض- ط- ظ- ع- غ- ف- ق- ك- ل- م- ن- هـ- و (في مثل ولد), ي(في مثل يترك).

والأصوات الصائتة: الحركات (الضمة، الفتحة, الكسرة), وحروف المد واللين "مقصودًا بها الألف في مثل عدا "aa"، والواو في مثل قالوا "uu"، والياء في مثل القاضي[1]. هي التي يندفع الهواء فيها بدون انحباس [2].

يظهر للباحث أن النحاس لم يذكر تقسيما للأصوات؛ لأنه اهتم بالأداء القرآني وتبيين الوجوه الإعرابية.

المبحث الأول

مخارج الأصوات عند النحاس في إعراب القرآن.

المخرج لغة: موضع الخروج، يقال: خرج مخرجاً حسناً، وهذا مَخْرَجُهُ [3].

واصطلاحا: محل خروج الحرف الذي ينقطع عنده صوت النطق به فيتميز عن غيره [4].

عددها:

اختلف العلماء في عدد مخارج الأصوات، ويعد الفراهيدي أول من بين مخارج الأصوات في مقدمة معجمه، إذ عدَّها سبعة عشر مخرجًا [5], بينما جعلها سيبويه وأصحابه ستة عشر مخرجًا[6]؛ إذ اسقطوا مخرج الحروف الجوفية, حروف المد واللين(الألف, الياء, الواو), وجعلوا الألف من الحلق، والياء من وسط اللسان، والواو من الشفتين[7], وهذا ما قال به ابن جني[8].

وذهب الفراء وتابعوه [9] إلى أنَّها أربعة عشر مخرجًا؛ لجعلهم مخرج الذلقية[10] واحدًا[11]؛ ولخص السيوطي ذلك: "فموضع الخلاف بينهم مخرج (اللام, والنون, والراء), فهو عند الفراء مخرج واحد, وعند الفراهيدي ومن وافقه ثلاثة مخارج, وعلى القولين فذلك على سبيل التقريب, وإلا فالتحقيق أنَّ لكل حرف

(1) السعران, محمود, علم اللغة مقدمة للقارئ العربي, (دار الفكر العربي– القاهرة، الطبعة الثانية1997), (ص124, 125).

(2) عبد التواب, مصدر سابق, (ص43).

(3) الجوهري, إسماعيل بن حماد, الصحاح, تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين – بيروت)، الطبعة: الرابعة 1407هـ– 1987م), مادة (خرج), (ج1/ص309).

(4) المصري, محمود بن علي, العميد في علم التجويد, تحقيق: محمد الصادق, (دار العقيدة– الأسكندرية), الطبعة الأولى, 1425هـ, (ص51).

(5) الفراهيدي, مصدر سابق, (ج1/ص58).

(6) سيبويه, مصدر سابق, (ج4/ص433).

(7) ابن جني, مصدر سابق, (ج1/ص61).

(8) ابن جني, مصدر سابق, (ج1/ص60).

(9) الجرمي وقطرب والفراء وابن دريد وابن كيسان.

(10) اللام والراء والنون، وهو طرف اللسان، حيث جعلوا مخارج اللسان ثمانية، لأنهم جعلوا اللام والنون والراء من مخرج واحد كلي ذي مخارج جزئية.

(11) ابن الجزري، شمس الدين محمد، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: الدكتور على حسين البواب، (مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى، 1405 هـ – 1985م), (ص105), بتصرف.

مخرجًا على حدة"[1], واتبع القراء رأي الفراهيدي, منهم ابن الجزري الذي ذكر كل الأقوال, ورجح الرأي الأول فقال: "والصحيح المختار الرأي الأول"[2].

أما المحدثون فقد اتفقوا على أن لكل حرف من الحروف الصامتة مخرجا محققا؛ وذكر صبحي الصالح وسيلة لمعرفة مخرج الحروف: "أنْ تسكنه، أو تشدده، وتدخل عليه همزة الوصل بأي حركة وتسمعه؛ فحيث انقطع الصوت كان مخرجه المحقق، وحيث يمكن انقطاع الصوت في الجملة كان مخرجه المقدر"[3].

يظهر مما سبق أن الاختلاف في عدد المخارج مرده إلى تفصيل مخارج الأصوات المتقاربة أو إسقاط بعض المخارج، وأن الإمام النحاس في كتابه (إعراب القرآن) لم يحدد عدد مخارج الحروف كما فعل سابقوه، ولم يهتم بإحصائها, وإنما كان تركيزه على الجانب التطبيقي, وأثر المخرج الصوتي بالجانب اللغوي.

أنواع المخارج:

أولًا. مخارج الأصوات الصامتة (الصحاح):

لم يحدد النحاس عدد المخارج، وإنما ذكر بعض مخارج الحروف على النحو الآتي:

1. مخارج الأحرف الحلقية أقصى الحلق(أ,ه), وسطه(ع, ح), أدناه (غ, خ):

ذكر النحاس حروف الحلق في كتابه (إعراب القرآن) في حديثه عن اختلاف القراءات في الفعل (سنفرغ) في قوله تعالى: ﴿□ □ □ □□﴾ [الرحمن: 31]؛ وذلك لتفسير اختلاف لغات العرب في حركة عين المضارع, فقال: "قال أبو جعفر ذكرنا من قرأ بها: (فَرَغ يفرُغ) جاء به على الأصل؛ لأن فيها حرفا من حروف الحلق, وحروف الحلق: "الهمزة والعين والغين والحاء والخاء والهاء، وحروف الحلق يأتي منها فعَل يفعَل كثيرا نحو ذهب يذَهب وصنع يصنَع، ويأتي ما فيه لغتان نحو: صبغ يصبُغ ويصبغ ورعف يرعف ويرعف، ويأتي منهما ما لا يكاد يفتح نحو: نحت ينحت, وإنما يرجع في هذا إلى اللغة" وعلل مجيئه على وزن (يفعل)؛ لأن فيه حرف حلقي"[4].

يظهر للباحث أن النحاس ذكر مخرج حروف الحلق أثناء توضيح أثرها في تصريف الأفعال, وحدد الحروف

(1) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن, همع الهوامع, تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (المكتبة التوفيقية – مصر)، (د/ط), (ج3/ص490).

(2) ابن الجزري، شمس الدين محمد, النشر في القراءات العشر, (المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية), (ج1/ص198).

(3) الصالح, صبحي, دراسات في فقه اللغة, (دار العلم للملايين، الطبعة الأولى 1379هـ – 1960م), (ص278).

(4) النَّحَّاس, أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، إعراب القرآن, وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ), (ج4/ص208).

الحلقية بستة أحرف مبتدأ بالهمزة, بينما جعلها الفراهيدي خمسة أحرف مبتدأ بالعين, قال الفراهيدي: "فالعين, والحاء, والهاء, والخاء, والغين, حلقية، لأنَّ مبدأها من الحلق"[1], فالفراهيدي بدأ بالعين الذي رتب به معجمه؛ لأن العين أقصى الحروف الحلقية, ولم ينسب الهمزة إلى مخرج معين, وإنما جعلها هوائية لم يكن لها حيز تنسب إليه[2], وما ذكره النحاس يتفق مع سيبويه في أصل تحديد حروف الحلق, قال سيبويه: "فللحلق منها ثلاثةٌ: فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف, ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء, وأدناها مخرجاً من الفم: الغين والخاء"[3], وهذا ما سار عليه ابن جني في (سر صناعة الإعراب)[4], واعتمده القراء وعلماء التجويد في كتبهم, وذكر ذلك ابن الجزري بقوله: "لأقصى الحلق همز هاء, ثم لوسطه فعين حاء, أدناه غين خاء"[5].

إلا أن النحاس لم يذكر لها مستويات (أقصى, ووسط, وأدني) بصريح العبارة كما جعل لها سيبويه؛ لأن النحاس كان يذكر مخارجها ليوضح أثرها في تصريف الأفعال, وليس لحصرها أو إفرادها بمستوى لغوي, و ذكر المخرج الجزئي لبعض حروف الحلق بصورة ضمنية, كـ(الهمزة والهاء), وذلك عندما علل استثقال نطق تحقيق الهمزتين في قوله تعالى: ﴿□﴾ [البقرة: 10]، لبُعد مخرجها, والذي يتطلب مشقة وجهدا لبعده عند الفراهيدي وسيبويه, فقال: "قال سيبويه: الهمزة بعُد مخرجها, وهي نبرة تخرج من الصدر باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً فثقلت؛ لأنَّها كالتهوّع"[6]؛ فالنحاس ذكر أثر المخرج الجزئي للهمزة في ثقل الجمع بين الهمزتين, وذكر المخرج الجزئي للهاء أثناء ذكره اختلاف القراءات في قوله تعالى: ﴿□ □ نى ني □ ير □ □ ين﴾ [آل عمران: 75], وبعد أن ذكر أوجه قراءة (يؤده) ومنها قراءة الهاء بواو الوصل بقوله: "...والهاء بعيدة المخرج"[7], فقد ذكر المخرج الجزئي لها؛ ليوضح ظاهرة صوتية, وهي صعوبة وصول صوت الهاء إلى الشفتين, وانتقاله إلى الحرف الذي يليه؛ والذي يُلجأ المتكلم إلى وصله بالواو, لتقويته وسهوله انتقاله.

يظهر للباحث أن النحاس اتفق مع من سبقه في أصل حروف الحلق، واختلف مع الفراهيدي في ترتيبها، وفي موضع الهمزة؛ إذ عدها الفراهيدي هوائية, بينما عدها النحاس حلقية متبعا بذلك سيبويه, وابن جني, وأن النحاس كان يذكر مخارج الحروف الحلقية بوجه عام؛ ليفسر رأيا لغويا, وخص الهمزة والهاء بذكر

(1) الفراهيدي, مصدر سابق, (ج1/ص58).
(2) الفراهيدي, مصدر سابق, (ج1/ص58).
(3) سيبويه, مصدر سابق, (ج4/ص433).
(4) ابن جني, مصدر سابق, (ج2/ص428).
(5) ابن الجزري, شمس الدين, المقدمة الجزرية, (دار المغني للنشر), الطبعة: الأولى، 1422هـ – 2001م, (ص8).
(6) النحاس, مصدر سابق, (ج1/ص28).
(7) النحاس, مصدر سابق, (ج1/ص166).

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

مخرجيهما الجزئيين؛ لما يحدث فيهما من تغييرات صوتية.

واتفق المحدثون مع القدامى في (العين والحاء) [1], وخالفوهم في (الهمزة والهاء) إذ عدوهما من الأصوات الحنجرية"[2], قال بشر: "فالهمزة صوت صامت له خواص الأصوات الصامتة، ...., حنجرية، فمخرجها الحنجرة، وهي أقصى مواضع النطق في الجهاز النطقي عند الإنسان، ولا يشركها في هذا المخرج في العربية إلا صوت الهاء"[3].

وخالفوهم كذلك في (الغين والخاء) فقد عدوهما من الأصوات الطبقية، (فالغين) يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان حتى يتصل بالطبق، اتصالاً يسمح للهواء بالمرور، فيحتك باللسان والطبق في نقطة تلاقيهما، وفي الوقت نفسه يرتفع الطبق، ليسد المجرى الأنفي مع حدوث ذبذبات في الأوتار الصوتية,...., والخاء نظيره لا يفترق في طريقة نطقه عن الغين، إلا في أنَّ الأوتار الصوتية، لا تهتز معه،وتهتز مع الغين, ذكره عبد التواب[4].

2- مخرج القاف:

ذكر النحاس مخرج (القاف والكاف) عندما علل جواز إدغامهما في قوله تعالى: ﴿ لخ لم لى﴾ [البقرة: 84] بقوله:,84 بقوله: "ويجوز إدغام القاف في الكاف لقرب إحداهما من الأخر"[5], وعند ذكره جواز إبدال القاف من الكاف لقربها منها, في قوله تعالى: ﴿ □ □﴾ [يس: 8][6], فالنحاس ذكر أثر تقارب مخرجيهما في إدغامهما, أو أبدالهما؛ مما يدل على أنّه يذكر المخرج لتوضيح وجه لغوي.

وقد عدهما الفراهيدي (القاف، الكاف) حرفين لهويين؛ لأنَّ مبدأهما من اللهاة [7], أما سيبويه فقال: "ومن أقصى اللسان، وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن أسفل من موضع (القاف) من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج (الكاف)"[8], وتبعه ابن جني, بقوله: "ويتلو حروف الحلق حروف أقصى اللسان، وهي القاف، والكاف، والجيم"[9].

(1) عيد التواب, مصدر سابق, (ص55).
(2) عبد التواب, مصدر سابق, (ص56).
(3) بشر, كمال, دراسات في علم اللغة، (دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع)، (د/ط), (ص60).
(4) عبد التواب, مصدر سابق, (ص53, 54).
(5) النحاس، مصدر سابق، (ج1/ص64) , و (ج2/ص291),
(6) النحاس، مصدر سابق، (ج3/ص260).
(7) الفراهيدي، مصدر سابق، (ج1/ص58).
(8) سيبويه، مصدر سابق، (ج4/ص433).
(9) ابن جني، مصدر سابق، (ص2/ص429).

ووصف اللغويون المحدثون أنَّ (القاف) صوت لهوي ينطق برفع مؤخر الطبق حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق؛ ليسد المجرى الأنفي، ورفع مؤخر اللسان حتى يتصل باللهاة والجدار الخلفي للحلق مع عدم حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية، فينحبس الهواء ثم ينفجر بعد انفصال العضوين المتصلين، وعلى ذلك فلا فرق بين (القاف والكاف) إلا في أنَّ (القاف) أعمق قليلاً في مخرجها[1], قال صبحي الصالح: "(القاف) من أقصى اللسان مما يلي الحلق، وما يحاذيه من الحنك الأعلى من منبت اللهاة، و(الكاف) من أقصى اللسان بعد مخرج القاف"[2].

يظهر للباحث اتفاق جميع الآراء على تقارب مخرجي القاف والكاف، فالنحاس ذكر أثر هذا التقارب في إدغامهما، أما الفراهيدي فقد جعلهما في مخرج واحد، ووصفه باللهوي؛ لخروجهما من أقصى اللسان قرب اللهاة، وميز سيبويه بين مخرجهما، وتبعه ابن جني، وهذا ما أكده المحدثون.

3- مخرج (الجيم):

ذكر النحاس مخرج الجيم أثناء حديثه عن جواز إدغام الجيم مع التاء في قوله تعالى: ﴿□ □﴾ [النساء: 56], "بالإدغام؛ لأن التاء من طرف اللسان والجيم من وسطه, والإظهار أحسن؛ لئلا تجتمع الجيمات"[3], وفي موضع آخر بيّن أثر تقارب مخرجي الجيم والتاء في إدغامهما في قوله: ﴿□ ير □﴾ [الإسراء: 33] [4], أما الفراهيدي فقد جعلها في مجموعة صوتية مع (الشين, والضاد) ووصفها بالشجرية؛ لأن مبدأهما من شجر الفم[5], وهو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى[6], وحدد سيبويه مخرجها (الجيم بصريح العبارة) بأنها تخرج من وسط اللسان؛ قال: "ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج(الجيم والشين, والياء غير المدية)[7], وقال به ابن خالويه[8], وأكده ابن جني[9], وتبعهم علماء القراءات والتجويد, قال ابن الجزري: "الجيم تخرج من المخرج الثالث من مخارج الفم، وهو من وسط

(1) عبد التواب، مصدر سابق، (ص55)، وحسان، مصدر سابق، (ص96).

(2) الصالح، مصدر سابق، (ص278).

(3) النحاس، مصدر سابق، (ج1/ص220).

(4) النحاس، مصدر سابق، (ج2/ص271).

(5) الفراهيدي، مصدر سابق، (ج1/ص58).

(6) ابن الجزري، النشر في القراءات، (مصدر سابق) , (ج1/ص200).

(7) سيبويه، مصدر سابق، (ج4/ص433).

(8) ابن خالويه, أبو عبد الله الحسين, الحجة في القراءات السبع, تحقيق: عبد العال سالم مكرم, (دار الشروق – بيروت), الطبعة: الرابعة، 1401 هـ, (ص73).

(9) ابن جني، مصدر سابق، (ج1/ص60).

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

اللسان..."[1].

يظهر للباحث أن النحاس صرح بمخرج الجيم من وسط اللسان متفقا بذلك مع الفراهيدي وسيبويه وابن خالويه وابن جني وعلماء القراءات والتجويد، إلا أن النحاس ذكر مخرجه معللا مسألة جواز الإدغام بين الجيم والتاء لتقاربهما في المخرج، إذ ربط بين المخرج وطريقة الأداء.

4- مخرج اللام والراء:

لم يحدد النحاس مخرج (اللام, الراء), وإنما اكتفى بذكر تقارب مخرجيهما بعد أن ذكر القراءات مفسرا سبب إدغامهما في قوله تعالى: ﴿□تن تي□ □ □ □ □ □ □﴾ [المطففين: 14], بقوله: "قال أبو جعفر: والإدغام في هذا أولى لقرب اللام من الراء"(2), وقد جعلها الفراهيدي (ل, ر, ن) في مجموعة واحدة, وأطلق عليها حروفا ذَلَقيّة, وهو تحديد طرفي ذلق اللسان(3), أما سيبويه فقد حدد لكل حرف من (اللام, والراء, النون) مخرجا(4), وقال المبرد: "فمحل اللام والنون والراء متقارب بعضه من بعض, وليس في التداني كما أذكر لك, فإذا ارتفعت عن مخرج النون نحو اللام, فالراء بينهما على أنها إلى النون أقرب, و(اللام) تتصل بها بالانحراف الذي قبلها"[5], و"جعلها بعضهم (ل, ر, ن) في مخرج واحد"[6].

وذكر الجوهري سبب التسمية فقال: "وإنما سمِّيتْ هذه الحروف ذُلْقاً؛ لأنَّ الذَلاقَةَ في المنطق إنما هي بطرف أَسَلَة اللسان والشفتين"(7), وأضاف ابن يعيش فقال: "واللام والنون والراء من حيز واحد، وبعضها أرفع من بعض، ...، وهي ذلقية، يقال: حرف أَذْلَقُ، وذَلْقُ كل شيء: تحديد طرفه، وكذلك ذَولَقُه"(8).

وأطلق عليها المحدثون (ل, ر, ن): (اللثوية)(9), قال بشر: "ويكون ذلك باتصال طرف اللسان باللثة, وصنفها آخرون في مخرجين, فتوضع اللام والنون مع (التاء, والدال, والضاد) في الأصوات الأسنانية اللثوية, وتوضع

(1) ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، مصدر سابق، (ص115).

(2) النحاس، المصدر نفسه، (ج5/ص111).

(3) الفراهيدي، مصدر سابق، (ج1/ص58).

(4) سيبويه، مصدر سابق، (ج4/ص433), (من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان, ومن بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام. ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون. ومن مخرج النون, غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى الدم مخرج الراء).

(5) المبرد، مصدر سابق، (ج1/ص193).

(6) الجرمي وقطرب والفراء وابن دريد وابن كيسان، ينظر السيوطي، الهمع, مصدر سابق, (ج3/ص490).

(7) الجوهري، مصدر سابق، مادة (ذوق), (ج4/ص1479).

(8) ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ – 2001م)، (ج5/ص517).

(9) عبد التواب، مصدر سابق، بتصرف، (ص31).

الراء مع أصوات الصفير(ز, س, ص) في الأصوات اللثوية"[1].

يظهر أنَّ النحاس لم يجعل (اللام والراء) من مخرج واحد، وإنما ذكر تقارب مخرجيهما؛ وبهذا يقف موقفا وسطا بين من جعلها بمخرج واحد، ومن جعل لكل حرف مخرجا, وهذا يتفق مع منهجه في الكتاب؛ إذ اكتفى بذكر التقارب لتوضيح الإدغام.

5- مخرج التاء والطاء والدال:

ذكر النحاس أن .(الدال والتاء والطاء) يخرجان من مخرج واحد بقوله: "...الدال والتاء والطاء من موضع واحد"[2], وذكر اتحادهم في المخرج عندما استبعد إدغام التاء في الصاد في قوله تعالى(والصافات صفا), بقوله: "أنَّ التاء من أخوات الطاء والدال"[3], وفي موضع أخر حدد المخرج بصريح العبارة أثناء تفسيره لإدغام التاء في الطاء في قوله تعالى: ﴿ □ □ □ □□□﴾ [المائدة: 6], بقوله: "والأصل فتطهّروا, فأدغمت (التاء في الطاء)؛ لأنَّها من أصول الثنايا العليا, وما بين طرف اللسان"[4], وهذا ما ذهب إليه الفراهيدي؛ إذ جعلها نطعية بقوله: "والطاء والتاء والدال نطعية لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى"[5], وصرح به سيبويه بقوله: "ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء"[6], وأكدَّه ابن جني[7], وابن الجزري[8], وأطلق عليها(ت, د, ط) بعض المحدثين -منهم عبد التواب, وبشر- الأسنانية اللثوية مع(ض, ز, س, ص) [9], ويقول حسان: "والصحيح أنَّها أسنانية لثوية"[10].

يظهر للباحث أن النحاس صرح بمخرج (التاء والطاء والدال) متفقا بذلك مع قول من سبقه من علماء اللغة والقراء.

6- السين والصاد والزاي:

(1) بشر، كمال، علم الأصوات، (دار غريب، القاهرة, 2000م), (ص183).
(2) النحاس، مصدر سابق، (ج4/ص247).
(3) النحاس، مصدر سابق، (ج3/ص277).
(4) النحاس، مصدر سابق، (ج1/ص260).
(5) الفراهيدي، مصدر سابق، (ج1/ص58).
(6) سيبويه، مصدر سابق، (ج4/ص433).
(7) ابن جني، سر صناعة الإعراب، (ج1/ص60).
(8) ابن الجزري، النشر في القراءات، (ج1/ص200).
(9) عبد التواب، مصدر سابق، (ص31).
(10) حسان، مصدر سابق، (ص86).

ذكر النحاس أنَّ السين والصاد [1]والزاي من موضع واحد عند قوله تعالى: ﴿خ لم لى لي □ □ □ □﴾ [المجادلة: 1], "والسين والصاد والزاي من موضع واحد، يسمّين حروف الصفير، وصرح بجزء من المخرج "والسين من طرف اللسان"[2].

وأطلق الفراهيدي عليها (س, ص, ز) أَسَلِيّةٌ؛ لأنَّ مبدأها من أسَلَة اللسان, وهي مستدق طرف اللسان[3], "وهي حروف تنسل انسلالاً"[4], وقد حدد مخرجها سيبويه بقوله: "ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي، والسين، والصاد"[5].

وأطلق عليها المحدثون الأصوات الأسنانية اللثوية مع (د, ض, ت, ط)[6], يظهر للباحث أن الناس اتفق مع من سبقه بجعل (س, ص, ز) في مخرج واحد.

7- الظاء والذال والثاء: الى هنا

ذكر النحاس في كتابه (إعراب القرآن) أنَّ هذه الأصوات متفقة في المخرج عند قوله تعالى: چ پ پ چ الصافات: ٣, فقال: "وأخت الذال الظاء والثاء"[7], وجعلها الفراهيدي في مخرج واحد بقوله: "الصاد والسين والزاء في حيز واحد, وأطلق عليها (ظ, ذ, ث) اللثوية؛ لأنَّ مبدأها من اللثة[8], وبيّن مخرجها سيبويه بقوله: "ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال، والثاء"[9], وقال: إنها من حيزٍ واحد(10), وتبعه ابن جني[11], وقال به القراء[12], وجمع كل ذلك عن مخرجها ابن يعيش, بقوله: "والظاء والذال والثاء من حيز واحد، وهو ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، وبعضها أرفع من بعض، وهي لثوية،؛ لأنَّ مبدأها

(1) الصاد مما انفردت العرب بكثرة استعمالها وهي قليلة في لغة بعض العجم، مفقودة في لغة كثير منهم, ينظر ابن عقيل, بهاء الدين, المساعد على تسهيل الفوائد, تحقيق: د. محمد كامل بركات, جامعة أم القرى (دار الفكر، دمشق – دار المدني، جدة), الطبعة: الأولى، (1400 – 1405 هـ), (ج4/ص242).
(2) النحاس، مصدر سابق، (ج4/ص247).
(3) الفراهيدي، مصدر سابق، (ج1/ص58).
(4) المبرد، مصدر سابق، (ج1/ص193).
(5) سيبويه، مصدر سابق، (ج4/ص433).
(6) عبد التواب، مصدر سابق، (ص31).
(7) النحاس, مصدر سابق, (ج3/ص277).
(8) الفراهيدي, مصدر سابق, (ج1/ص58), و (ج1/ص85).
(9) سيبويه, مصدر سابق, (ج4/ص433).
(10) سيبويه, مصدر سابق, (ج4/ص464).
(11) ابن جني, مصدر سابق, (ج1/ص61).
(12) ابن المبارك, أبو محمد عبد الله, الكنز في القراءات, تحقيق: خالد المشهداني, (مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة), الطبعة: الأولى، 1425هـ – 2004م, (ج1/ص167).

من اللثة"[1].

أما المحدثون فقد أطلقوا عليها الأصوات الأسنانية, وردَّوا قول الفراهيدي منهم عبد التواب, بقوله: "ولسنا ندري لماذا عدَّ الفراهيدي بن أحمد هذه الأصوات الثلاثة لثوية, مع أنَّ النطق المتواتر لها في العربية الفصحى، هو النطق الأسناني"[2].

فالنحاس لم يذكر اتفاق هذه الحروف في المخرج إلا في موضع واحد سبق ذكره.

يظهر للباحث أن النحاس جعلها من مخرج واحد، ولم يحدد مخرجها بصريح العبارة، وحدد مخرجها من سبقه من علماء اللغة؛ إذ تخرج من طرف اللسان وأطراف الثنايا, وأطلق عليها الفراهيدي الأصوات اللثوية. ويظهر مما سبق أن النحاس كان يذكر مواضع مخارج الأصوات تارة، ويذكر اتفاقها بالحيز في مواضع، وبتقاربها في المخرج في مواضع أخرى؛ إما لتوجيه إعراب آية، أو تفسير وجه لغوي، أو توضيح قراءة من القراءات, فقد ربط بين مخرج الصوت والأداء.

ثانياً. مخارج (الصوائت):

لم يستخدم اللغويون القدامى مصطلح (الصوائت) كما يستخدمه المحدثون اليوم, فقد أطلقوا عليها مسميات متقاربة؛ إذ أطلق الفراهيدي بن أحمد على حروف (الواو والياء والألف اللينة, والهمزة) الحروف الجوفية أو الهوائية في مقدمة كتابه (العين), وسميت جوفية؛ لأنها تخرج من الجوف, وجعل لها مخرجا مقدرا وحيز تنسب إليه, فهي هوائية أي: هاوية في الهواء"[3], إذ لا تصطدم عند مخرجها بحاجز داخل الفم وإنما تندفع من الجوف وتنتهي في الهواء, لم يجعل للحركات مخرجا مستقلا, وإنما ذكر تأثيرها في بناء الحروف, وأطلق سيبويه حروف المد واللين بقوله: "وحروف اللين هي حروف المد التي يمد بها الصوت"[4], وزاد المبرد إلى ما أطلقه عليها سيبويه المصوتة[5], وأطلقوا على الحركات على(الفتحة والضمة والكسرة), وهي مأخوذة من حروف المد واللين, كما قال سيبويه[6] أو أبعاض الحروف, وهذا ما فصله ابن جني: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة

(1) ابن يعيش, مصدر سابق, (ج5/ص518).

(2) عبد التواب, مصدر سابق, (ص44).

(3) الفراهيدي, مصدر سابق, (ج1/ص57).

(4) سيبويه, مصدر سابق, (ج3/ص426), والمبرد, مصدر سابق, (ج1/ص192).

(5) المبرد, مصدر سابق, (ج1/ص61).

(6) سيبويه, مصدر سابق, (ج4/ص101).

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

بعض الواو"[1], ولم يجعل لها سيبويه مخرجا منفصلا, وإنما وزعها على المخارج المحققة؛ إذ جعل الألف من أقصى الحلق, والياء من وسط اللسان, والواو من بين الشفتين[2], وقال به ابن حني. وقسم علماء اللغة المحدثون الصوائت إلى قسمين صوائت طويلة وقصيرة [3].

والصوت الصائت هو: الصوت "المجهور" الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحيانا، دون أن يكون ثمة عائق "يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاما" أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا [4].

واتبع النحاس القدامى في تسميتها (حروف المد واللين والحركات) في عدة مواضع في كتابه مبينا أثرها في الكلمة أثناء تعليله اختلاف الإعراب أو تفسيره للقراءات، أو توضيحه الإبدال والإعلال.

1- الأصوات الصائتة الطويلة (حروف المد واللين):

ذكر النحاس أنَّ (الياء) من حروف المد واللين في قوله تعالى: ﴿□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □﴾ [البقرة: 11], أثناء توضيحه أقوال اللغويين جواز إدغام اللام في اللام في (قيل لهم), [5], ولم يذكر مخرجها, وذكر النحاس حروف المد واللين في قوله "أنَّ الألف والياء من حروف المد واللين أثناء ذكره اللغات في (ميكائيل), وتفسيره عملية الإبدال والحذف فيها حتى صارت(ميكال)"[6], وعند قوله تعالى: ﴿□ □ بن بى بي﴾ [الدخان: 47]"أنَّ الواو من حروف المد واللين"[7].

فحروف اللّين: هي حروف المدّ التي يمدّ بها الصوت، وهي الألف، والواو، والياء [8].

قال الرماني: "حروف المد واللين هي التي تكون منها الحركات، ويمكن مد الصوت بها، وهي الياء والواو والألف"[9].

وذكر النحاس مخرج الألف عند قوله تعالى: ﴿□ □ □ □ □ □ □﴾ [البقرة: 57], إذ أورد رأي الفراهيدي "أنَّ الألف حرف هوائي لا مستقر له فأشبه الحركة, فاستحالت حركته"(10), فقد عدَّ الفراهيدي (الياء

(1) ابن جني, مصدر سابق, (ج1/ص33).
(2) سيبويه, مصدر سابق, (ج4/ص433).
(3) حسان, مصدر سابق, (ص90).
(4) السعران, مصدر سابق, (ص134).
(5) النحاس, مصدر سابق, (ج1/ص30).
(6) النحاس, مصدر سابق, (ج1/ص70).
(7) النحاس, مصدر سابق, (ج4/ص89).
(8) النحاس, مصدر سابق, (ج1/ص11).
(9) الرماني, أبو الحسن علي, رسالة منازل الحروف, تحقيق: إبراهيم السامرائي، (دار الفكر – عمان), (ص83).
(10) النحاس, مصدر سابق, (ج1/ص55), (ج4/ص39), (ج5/ص158).

والواو والألف والهمزة) هوائية؛ لأنَّها هاوية في الهواء لا يتعلق بها شيء[1].

و ذكر النحاس عند قوله تعالى: ﴿بج بح بخ بم به تج تح﴾ [البقرة: 34]قول أبي إسحاق الذي حدد للألف مخرجاً, وجعله مضارعاً لحروف الحلق[2], وهذا رأي سيبويه الذي جعل مخرجه من أقصى الحلق[3].قال ابن درستويه: "وليست الألف من الحروف الحلقية، ولا لها معتمد في حلق ولا غيره؛ لأنَّها من الحروف الهاوية في الجوف, وإنما مقطعها في أقصى الحلق، والحروف كلها مقطعها هناك؛ لأنَّ الصوت كله إنما يخرج من الحلق، ثم يحصره المعتمد, فيصيره حرفاً"[4].

يظهر للباحث أنَّ النحاس حدد مخرج الألف في موضع واحد؛ إذ جعله من حروف الحلق متفقاً في ذلك مع سيبويه، وفي عدة مواضع لم يجعل له مخرجاً محدداً؛ إذ جعله (الألف) هوائي متفقاً في ذلك مع الفراهيدي، مما يدل على أن النحاس لم يكن متبعا لرأي أو متقيدا بأسلوب, وإن كان أكثر ميلا لسيبويه.

2- الصوائت القصيرة:

أورد النحاس في كتابه (إعراب القرآن) أنَّ العرب استثقلوا تتابع الصوائت القصيرة عند قوله تعالى: ﴿تم ته ثم □ جم□﴾ [المائدة: 117] بقوله: "ويجوز أن تكون في موضع خفض أي: بأن اعبدوا، وضمّ النون أجود؛ لأنهم يستثقلون كسرة بعدها ضمة والكسر جائز على أصل التقاء الساكنين", چ ٹ ٹ ٹ ڈ چ يوسف: ٣١ "(وَقالَتِ اخْرُجْ) بضم التاء؛ لالتقاء الساكنين, لأنَّ الكسرة تثقل إذا كانت بعدها ضمة وكسر التاء على الأصل", ﴿تن تى تي □ □ □﴾ [يس: 61]"من كسر النون فعلى الأصل، ومن ضم كره كسرة بعدها ضمة"[5], أو تأتي كسرة بعد ضمة, فالضم ثقيل, ولا سيما إذا كانت بعده كسرة[6].

قال ابن خالويه: "ليس في كلام العرب ضمة بعد كسرة إلا في حرفين: إصبُع وزِئبُر"[7].

وقد علل ذلك النحاس عندما ردّ ما رُوي عن حمزة بجمعهما بقوله: "فأما ما روي عن حمزة من الجمع بين

(1) الفراهيدي, مصدر سابق, (ج1/ص57).
(2) النحاس, مصدر سابق, (ج1/ص45).
(3) سيبويه, مصدر سابق, (ج4/ص433).
(4) ابن درستويه, أبو محمد عب الله بن جعفر, تصحيح الفصيح وشرحه, تحقيق: محمد بدوي المختون، (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية [القاهرة]، 1419هـ – 1998م), (ص34).
(5) النحاس, مصدر سابق, (ج1/ص203), (ج1/ص290), (ج2/ص201), (ج3/ص142), (3/ 256), (3/ 272), (4/ 258).
(6) النحاس, مصدر سابق, (ج1/ص18).
(7) ابن خالويه, أبو عبد الله الحسين, ليس في كلام العرب, تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (الطبعة: الثانية، مكة المكرمة، 1399هـ – 1979م), (ص215).

الضمّ والكسر فمحال، لا يقدر أحد أنْ ينطق به إلّا على الإيماء إلى ما لا يجوز"[1].

وسبقه الفراء بتعليل ذلك بقوله: "يستثقل الضم والكسر؛ لأنَّ لمخرجيهما مؤونة على اللسان والشفتين تنظم الرفعة بهما فيثقل الضمة ويمال أحد الشدقين إلى الكسرة فترى ذلك ثقيلاً، والفتحة تخرج من خرق الفم بلا كلفة"(2).

وكذلك ذكر النحاس أنَّ النحويين كرهوا الجمع بين كسرتين عند قوله تعالى: ﴿ لخ لم لى لي □ □ □ □ □ ﴾ [التوبة: 1], فقال: "(مِنَ اللَّهِ) فتحت النون؛ لالتقاء الساكنين هذه اللغة الفصيحة، وللنحويين فيها أقوال: قال الكسائي: أصل (من) منا حذفوا الألف وأبقوا الفتحة، وقيل: كرهوا الجمع بين كسرتين فحركوها في أكثر المواضع بالفتح, قال أبو جعفر: وأحسن ما قيل في هذا قول سيبويه(3) قال: لمّا كثر استعمالهم لها ولم يكن فعلا وكان الفتح أخفّ عليهم, فتحوا وشبهوها بـ(أين وكيف), قال سيبويه: وناس من العرب يكسرون فيقولون: منِ الله على القياس"[4].

المبحث الثاني

صفات الأصوات عند النحاس في كتابه (إعراب القرآن):

الصفات جمع صفة. وهي في اللغة: ما يتصف به الشيء من المعاني كالعلم والسواد، ليس النعت الذي يريده النحاة(5), والصفة: الأمارة اللازمة للشيء"(6).

واصطلاحا: هي ما قام بالشيء من المعاني الحسية أو المعنوية(7).

توصل علماء الأصوات قديماً وحديثاً إلى أنَّ المخرج لا يمكن أنْ يكون عمدة بمفرده للتمييز بين الأصوات؛ لأنَّه يوجد أصوات قد تشترك في مخرج واحد, فتابعوا المراحل التي يسلكها الصوت في جهازه النطقي, ليصبح صوتاً لغوياً, وقالوا بأنَّ كل حرف يشارك غيره في المخرج فإنَّه لا فارق بينهما إلا بالصفات.

وصفات الحروف أحد عشر صفة, وهي: المجهورة, والمهموسة, والشديدة والرخوة, والمنحرفة,

(1) النحاس, مصدر سابق, (ج3/ص93).

(2) الفراء, أبو زكريا يحيى, معاني القرآن, تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، (دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى), (ج2/ص13).

(3) سيبويه, مصدر سابق, (ج4/ص154).

(4) النحاس, مصدر سابق, (ج2/ص108).

(5) الرازي, زين الدين محمد, مختار الصحاح, تحقيق: يوسف الشيخ محمد, (المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا), الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م, مادة (وصف), (ص340).

(6) ابن فارس, أبو الحسين أحمد, مقاييس اللغة, تحقيق: عبد السلام محمد هارون, (دار الفكر), عام النشر: 1399هـ – 1979م, مادة (وصف), (ج6/ص115).

(7) العبد, فريال زكريا, الميزان في أحكام التجويد, دار الإيمان – القاهرة, (ص68).

والشديدة التي يخرج معها الصوت, والمكررة, واللينة, والهاوية, والمطبقة, والمنفتحة[1].

وذكر ابن الحاجب: "الصفير"[2]. وقال أبو حيان: "والصفيرية: الصاد والسين والزاي"[3].

وتطرق النحاس إلى بعض الصفات أثناء إعرابه للآيات وتوضيحه للقراءات, فهو لم يجعل لها بابا محددا, وستقتصر دراستنا على الصفات التي تطرق لها في كتابه (إعراب القرآن):

1- الجهر والهمس:

عرف النحاس الجهر والهمس بقوله: "حرف مجهور يمنع النفس أنْ يجري, وحرف مهموس يجري معه النفس"[4], متفقا بذلك مع سيبويه[5].

وقال ابن دريد: "وإنما سميت مهموسة؛ لأنَّه اتسع لها المخرج فخرجت, ..., وسميت مجهورة؛ لأنَّ مخرجها لم يتسع فلم تسمع لها صوتاً"[6], وقال ابن الجزري: "فالمهموسة أضعف من المجهورة"[7].

والحروف المهموسة عشرة أحرف يجمعها: (فحثّه شخص سكت), والمجهورة ما عدا المهموسة, وهي تسعة عشر حرفاً[8].

أما المحدثون فقد خالفوا القدامى في التفريق بين المهموس والمجهور, إذ وضعوا تعريفاً أخر لها لا ينظر فيه إلى شكل المخرج، وإنما ينظر فيه إلى اهتزاز الأوتار الصوتية[9], أو عدم اهتزازها، فقد وصف إبراهيم أنيس: "الجهر بأنَّه صوت يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين، اهتزازاً منظماً, ويصف الصوت المهموس، بأنه الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان, ولا يسمع لهما رنين حين النطق به"[10].

---

(1) العكبري, اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، (الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، 1416هـ 1995م), (ج2/ص464).

(2) الأستراباذي, رضي الدين, شرح شافية ابن الحاجب, تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون، (دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، 1395 هـ – 1975م), (ج2/ص926).

(3) أبو حيان, محمد بن يوسف, ارتشاف الضرب, تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، (مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الأولى، 1418 هـ – 1998م), (ج1/ص21).

(4) النحاس, مصدر سابق, (ج1/ص160).

(5) سيبويه, مصدر سابق, (ج4/ص434).

(6) ابن دريد, أبو بكر محمد, جمهرة اللغة, تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م), (ج1/ص45).

(7) ابن الجزري, شمس الدين, التمهيد في علم التجويد, مصدر سابق, (ص86), (فصفة الهمس ضعيفة؛ لأنها من الخفاء, وصفة الجهر قوية؛ لكونها من الإعلان).

(8) ابن المبارك, مصدر سابق, (ج1/ص168).

(9) الوتران الصوتيان، أو الحبال الصوتية": هما أشبه بشفتين منهما بوترين، ولكن جرى الاصطلاح على هذه التسمية. وهذان الوتران ممتدان بالحنجرة أفقياً من الأمام إلى الخلف, وهما من أعضاء النطق المتحركة, ولهما القدرة على اتخاذ أوضاع متعددة تؤثر في الأصوات الكلامية, ينظر محمود السعران, مصدر سابق, (ص113)

(10) أنيس, إبراهيم, الأصوات اللغوية, (مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة1975م), (ص30).

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

وقال عبد التواب: "فالأصوات التي تهتز معها الأوتار الصوتية وتتذبذب يسميها علماء الأصوات بـ(الأصوات المجهورة)، أما تلك التي لا تهتز معها الأوتار الصوتية، فتسمى عندهم بالأصوات المهموسة"[1].

يظهر للباحث أنَّ المحدثين اختلفوا مع القدامى في طريقة تحديد صفة الصوت هل هو مهموس أم مجهور؟, فعند القدامى يقوم على جري النفس مع الحرف من عدمه, وعند المحدثين على اهتزاز الأوتار الصوتية من عدمها.

وحروف الهمس والجهر التي تطرق لها النحاس:

التاء والدال والذال:

وضح النحاس أثر صفتي الجهر والهمس في القلب والإدغام والإبدال, فقد ذكر صفتي التاء والدال أثناء توضيحه لما حدث لهما من قلب وإدغام, في قوله تعالى: ﴿ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ [التوبة: 57],: بقوله: "الأصل في مدّخل (مدتخل)، قلبت التاء دالاً؛ لأنَّ الدال مجهورة والتاء مهموسة, وهما من مخرج واحد"[2], وذكر صفات (الذال, والتاء) عند قوله تعالى: ﴿ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □ □ □ ﴾ [يوسف: 45]؛ عندما بيّن أثر الهمس والجهر في منع الإدغام, واشترط لإدغامهما قلب التاء دالا ليتفق مع الذال في الصفة, قال أبو جعفر: "الأصل في وَ(ادَّكَرَ) (اذتكر)، والذال قريبة المخرج من التاء، ولم يجز إدغامها فيها؛ لأنَّ الذال مجهورة والتاء مهموسة, فلو أدغموا ذهب الجهر, فأبدلوا من موضع التاء حرفاً مجهوراً, وهو الدال وكان أولى من الطاء؛ لأنَّ الطاء مطبقة فصار (إذ دكّر), فأدغموا الذال في الدال فصار (ادّكر)[3], وبيّن في موضع أخر مذهب الفراهيدي وسيبويه بأنّ الذال حرف مجهور يمنع النفس أنْ يجري, والتاء حرف مهموس يجري معه النفس, فأبدلوا من مخرج التاء حرفاً مجهوراً أشبه الذال في جهرها"[4], فالنحاس اتفق بجهر الدال والذال, وهمس التاء مع القدامى[5], وهذا ما قال به المحدثون[6].

يظهر للباحث أن النحاس وضح أثر الصفات في قلب الحروف أو إدغامها, فقد بيّن أن التاء حرف مهموس يجري معه النفس فلا يصح إدغامها مع الذال المجهور الذي يمنع جريان النفس, فقلبت التاء دالا؛ لكي يصح إدغامها مع الذال, فالدال والذال حرفان مجهوران.

(1)عبد التواب, مصدر سابق, (ص36).
(2) النحاس, مصدر سابق, (ج2/ص123).
(3) النحاس, مصدر سابق, (ج2/ص204).
(4) النحاس, مصدر سابق, (ج1/ص160).
(5) سيبويه, مصدر سابق, (ج4/ص460), وينظر المبرد, مصدر سابق, (ج1/ص209), وابن السراج, مصدر سابق, (ج3/ص270), وابن جني, أبو الفتح, الخصائص, (الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة), (ج1/ص67).
(6) حسان, مصدر سابق, (ص93).

الزاي:

ذكر النحاس بأنَّ الزاي حرف مجهور في (مزدجر) قوله تعالى: ﴿□ □ □ □ □ □ □ □﴾ [القمر: 4],"والأصل عند سيبويه مزتجر بالتاء إلّا أن التاء مهموسة والزاي مجهورة فثقل الجمع بينهما فأبدل من التاء ما هو من مخرجها وهو الدال, قال أبو جعفر: وهذا من أوجز قوله ولطيفه"[1], فالنحاس ذكر أثر اختلاف الصفات في قلب التاء إلى دال, للتقارب بالنطق مع الزاي عند اجتماعهما.

واتفق النحاس بجهر الزاي مع القدامى[2], وهذا ما قال به المحدثون[3].

الهاء والكاف:

وصف النحاس حرف الهاء والكاف حرفان مهموسان في قوله تعالى: ﴿□ □ □ّ﴾ [الفاتحة: 7], ""قال أبو العباس: وناس من بني بكر بن وائل يقولون: عليكم فيكسرون الكاف كما يكسرون الهاء؛ لأنها مهموسة مثلها, وهي إضمار كما أنّ الهاء إضمار، وهذا غلط فاحش لأنها ليست مثلها في الخفاء"[4], فقد وضح النحاس اتفاقهما بصفة الهمس واختلافهما بالخفاء, ولذا لا يصح كسر الكاف كما تكسر الهاء.

واتفق النحاس بصفته مع مَن سبقه من القدامى[5], وهذا ما قال به المحدثون: "فالهاء صوت رخو مهموس مرقق"[6].

يظهر للباحث أنَّ الأصوات المجهورة تسعة عشر صوتاً عند القدامى والمحدثين العرب إلا أنَّ من المحدثين من استثنى بعض الأصوات من الجهر وألحقها بالهمس وهي(الطاء والقاف), وجعلوا الهمزة في الحياد, وهذه الثلاثة مجهورة عند القدامى.

2- الشدة والرخاوة:

لم يذكر النحاس تعريفا للشدة والرخاوة, وإنما ذكر حرفاً واحداً من حروف الرخاوة, وهو: (الذال) عند قوله تعالى: ﴿□ □ □﴾ [يوسف: 45], بقوله: "وحكى الفراهيدي وسيبويه: أنَّ من العرب من يقول (اذّكر) فيدغم الدال في الذال؛ لرخاوة الذال ولينها"[7], فقد بين النحاس أن الدال أدغمت في الذال

(1) النحاس, مصدر سابق, (ج4/ص192).

(2) سيبويه, مصدر سابق, (ج4/ص434), والمبرد, مصدر سابق, (ج1/ص226), وابن السراج, مصدر سابق, (ج3/ص270), وابن جني, سر صناعة الإعراب, (ج1/ص197).

(3) عبد التواب, مصدر سابق, (ص47).

(4) النحاس, مصدر سابق, (ج1/ص21).

(5) سيبويه, مصدر سابق, (ج4/ص434), (ج4/ص199), وابن السراج, مصدر سابق, (ج3/ص403).

(6) عبد التواب, مصدر سابق, (ص58).

(7) النحاس, مصدر سابق, (ج2/ص204).

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

لرخاوتها, وهذه الرخاوة سهلت إدغامها بالدال.

واتفق النحاس بوصف (الذال) مع القدامى[1], وهو كذلك عند المحدثين صوت رخو مجهور مرقق[2].

وعرف سيبويه الحرف الشديد بأنَّه الذي يمنع الصوت أنْ يجري فيه, وهو (الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء)؛ وذلك أنك لو قلت أُلْحَجَ ثم مددت صوتك لم يجر ذلك, ومنها الرخوة وهي: (الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء), وذلك إذا قلت: الطَّسْ وانْقَض، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إنْ شئت"[3].

فالعين بين الرخوة والشديدة تصل إلى الترديد فيها؛ لشبهها بالحاء كما ذكر ابن السراج[4].

والحروف التي بين الشدة والرخاوة عرفها ابن المبارك: "وهي امتناع الصوت أنْ يجري كلّ الجري, أو يسكن كلّ السّكون, والتي بين الشدة والرخاوة ثمانية أحرف يجمعها: لم يرو عنّا"[5].

3- الإطباق:

ذكر النحاس تعريف الإطباق نقلاً عن أبي إسحاق, بقوله: "قال أبو إسحاق: ينطبق الحنك على اللسان بهما(6), وحروف الإطباق (ص, ض, ط, ظ), وذكر النحاس صفة الإطباق عند تفسيره سبب إبدال الطاء من التاء في (اصطفيناه) في قوله تعالى: ﴿□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □﴾ [البقرة: 130], بقوله: "الأصل في اصطفيناه اصتفيناه أبدل من التاء طاء؛ لأن الطاء مطبقة كالصاد, وهي من مخرج التاء, ولم يجز أن تدغم الصاد؛ لأنها لا تدغم إلا في أختيها الزاي والسين لما فيهن من الصفير, ولكن يجوز أن تدغم التاء فيها في غير القرآن فتقول: اصفيناه قبل."[7], فوضح سبب قلب التاء إلى طاء لأن الطاء مطبقة فتتفق مع الصاد, والجمع بينهما حسناً"[8].

واتفق النحاس بوصف (الطاء والصاد) مع القدامى[9]؛ إذ جعلوا الإطباق صفة ملازمة لهما.

وعرف ابن يعيش الإطباق, بقوله: "والإطباقُ أنْ تُطْبِق على مخرج الحرف من اللسان ما حاذاه من

(1) سيبويه, مصدر سابق, (ج4/ص435),
(2) عبد التواب, مصدر سابق, (ص45).
(3) سيبويه, مصدر سابق, (ج4/ص434).
(4) ابن السراج, مصدر سابق, (ج3/ص402).
(5) ابن المبارك, مصدر سابق, (ج1/ص168).
(6) الطاء والصاد.
(7) النحاس, مصدر سابق, (ج1/ص79).
(8) النحاس, مصدر سابق, (ج3/ص136).
(9) سيبويه, مصدر سابق, (ج4/ص436), والمبرد, مصدر سابق, (ج1/ص64), وابن جني, سر صناعة الإعراب, مصدر سابق, (ج1/ص76), والزمخشري, مصدر سابق, (ص547).

الحنك، والانفتاحُ بخلافه"[1].

4- الصفير:

لم يذكر النحاس تعريفا للصفير في كتابه (إعراب القرآن), لكنه ذكر حروف الصفير عندما ذكره القراءات في (الصراط), في قوله تعالى: ﴿خ لم ل لي □ □ □ □ □﴾ [المجادلة: 1]؛ إذ قراءها ابن عباس بالسين (السراط), بقوله: "وقرأ ابن عباس «4» السراط بالسين وبعض قيس يقولها بين الصاد والزاي ولا يجوز أن يجعل زايا إلا أن تكون ساكنة قال قطرب: إذا كان بعد السين في نفس الكلمة طاء أو قاف أو خاء أو غين فلك أن تقلبها صادا"[2]. وقال في موضع أخر: "والسين والصاد والزاي من موضع واحد, يسمّين حروف الصفير[3].

ويتفق النحاس في تصنيف (س, ص, ز) في مجموعة صوتية واحدة مع سيبويه[4], وابن جني[5] والقراء[6], إلا أن النحاس يذكرها لتوضيح اختلاف القراءات.

صفات الأصوات الصائتة:

حروف المد واللين:

أطلق النحاس على الصوائت الطويلة (الواو, والياء, والألف) حروف المد واللين مبينا أثرها في الإبدال والقلب والبنية الصرفية أثناء حديثه عن جواز إدغام اللام في اللام في (قيل لهم), وأصل ياء (قيل) في قوله تعالى: ﴿□ □ □ □ □ □ □﴾ [البقرة: 11], فبيّن أن الياء حرف مد ولين, بقوله: "ويجوز (قيل لهم) بالإدغام, وجاز الجمع بين ساكنين؛ لأن الياء حرف مد ولين, والأصل: (قول) ألقيت حركة الواو على القاف فانكسر ما قبل الواو فقلبت ياء"7). قال ابن السراج: "الأصل "يَقْوُلُ" فحولت الحركة التي كانت في الواو إلى القاف[8], وقال ابن خالويه: "استثقل الكسر على الواو التي كانت عين الفعل في الأصل، فنقلها إلى فاء الفعل بعد أن أزال حركة الفاء"[9].

(1) ابن يعيش, مصدر سابق, (ج5/ص522).
(2) النحاس, مصدر سابق, (ج1/ص20).
(3) النحاس, مصدر سابق, (ج4/ص247).
(4) سيبويه, مصدر سابق, (ج4/ص464).
(5) ابن جني, مصدر سابق, (ج2/ص432).
(6) ابن الجزري, النشر في القراءات العشر, (مصدر سابق), (1/ص203).
(7) النحاس, مصدر سابق, (ج1/ص30).
(8) ابن السراج, مصدر سابق, (ج3/ص335).
(9) ابن خالويه, الحجة في القراءات السبع (مصدر سابق), (ص69).

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

وفرق النحاس بين المد واللين في حرفي (الواو, والياء), فذكر أن الواو تكون حرف مد إذا سبقت بضم, والياء تكون حرف مد إذا سبقت بكسر, وذلك في قوله تعالى: ﴿تهثم جم﴾ [التوبة: 98] عند من قرأ (السُوء) بقوله: "فمن قرأ (وُ ءوْ) لم يجز له أن يمدّ هذا لأن الواو ما قبلها مفتوح، ومن قرأ (دائرة السُّوْء) مدّ لأن الواو ما قبلها مضموم، وإنما وجب هذا في الواو إذا انضمّ ما قبلها والياء إذا انكسر ما قبلها؛ لأنهما أشبهتا الألف فصارتا حرفي مدّ ولين كالألف فوجب فيهما المد كما كان في الألف"(1).

جاءت الياء حرف مد؛ لأنها ساكنة مكسور ما قبلها, ولين لسهولة جريان الصوت عند النطق بها.

ووصف (الألف) بأنها خفية مبينا سبب أبدال الهمزة بالهاء في قوله تعالى: ﴿ ﴾ [الأنعام: 99], بقوله: "والأصل في ماء (ماه) والهاء خفيّة والألف كذلك, فأبدل من الهاء همزة؛ لأن الهمزة جلدة"(2).

وأطلق عليها الفراهيدي الحروف الجوفية والهوائية(3), وسيبويه حروف المد واللين, والهاوية والخفية, فهي لينة؛ لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع, ومد لامتداد الصوت عند النطق بها, ومنها الهاوي وهو حرفٌ اتسع لهواء الصوت مخرجه, وخفية لاتساع مخرجها, وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً: الألف، ثم الياء، ثم الواو(4), وتبعه ابن جني(5).

وأما الصوائت القصيرة (الحركات) فلم يذكر النحاس لها صفة من صفات الحروف الصحاح, وإنما وصف الفتحة بالخفة أثناء تفسيره لوجه إعرابي؛ إذ يقول في تحريك ياء (رواسي) في حالة النصب في قوله تعالى: ﴿ ﴾ [الرعد: 3], بقوله: "حرّكت الياء في موضع النصب لخفة الفتحة"(6), ووصف الضمة بالثقل في مواضع, منها: أثناء توجيهه قراءات (الحمد) في قوله تعالى: ﴿ ﴾ [الفاتحة: 2]؛ إذ ذكر لغات الضم والكسر, بقوله: "فأما اللغة في الكسر فإنّ هذه اللفظة تكثر في كلام الناس والضمّ ثقيل ولا سيّما إذا كانت بعده كسرة فأبدلوا من الضمة كسرة وجعلوها بمنزلة شيء واحد"(7), وعند توضيح إعراب كلمة (فملاقيه) في قوله تعالى: ﴿ ﴾ [الانشقاق: 6] بقوله: "فَمُلاقِيهِ في موضع رفع والأصل ضمّ الياء فحذفت الضمة لثقلها. فهذا قول، وقيل: حذفت لأن الياء هاهنا حرف مد ولين فأشبهت الألف فحذفت منه الضمة والكسرة، ومن العرب من يحذف منها

(1) النحاس, مصدر سابق, (ج5/ص6).
(2) النحاس, مصدر سابق, (ج2/ص24).
(3) الفراهيدي, مصدر سابق, (ج1/ص57).
(4) سيبويه, مصدر سابق, (ج4/ص435- 436).
(5) ابن جني, مصدر سابق, (ج1/ص33).
(6) النحاس, مصدر سابق, (ج2/ص218).
(7) النحاس, مصدر سابق, (ج1/ص18).

الفتحة فيجريها مجرى الألف فلا يحركها بحال"[1], ووصف الكسرة بالثقل عند تعليل سبب حذفها من لام الأمر في(فلتقم) في قوله تعالى: ﴿خ لم لى لي □ □ □ □ □ □﴾ [النساء: 102], فَلْتَقُمْ والأصل فلِتقم حذفت الكسرة لثقلها"[2].

يظهر للباحث بأن النحاس وصف الحروف (الواو، والياء، والألف) بالمد واللين والخفاء، متبعا بذلك سيبويه, وذلك أثناء توجيهه للقراءات وتعليله لوجوه صوتية, وتوضيحه لبنية الكلمة.

ووصف الحركات بالخفة والثقل، وبيّن أثرها في الصوت، وعلاقتها بالتغييرات التي تحدث لبنية الكلمة.

نتائج البحث:

بعد دراسة الصوت اللغوي عند الإمام النحاس في كتابه (إعراب القرآن) توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج:

1- أن الصوت مادة أساسية للكلام اللغوي، تقوم دراسته على المخارج والصفات.
2- أن المنهج الصوتي للنحاس كان منهجا تطبيقا؛ إذ كان يربط المخرج الصوتي وصفته بالأثر اللغوي.
3- أن النحاس كان يذكر مخارج الحروف أو تقاربها أو اتحادها في الحيز حسب المسألة التي كان يتناولها، ولم يكن هدفه حصرها أو تحديد عددها.
4- أن النحاس وظف مخارج الحروف وصفاتها في توضيح ظواهر لغوية كالإدغام والقلب والإبدال، وبيّن أثرها في بنية الكلمة واختلاف القراءات، وتعدد الوجوه الإعرابية.
5- اتفاق النحاس في مخارج الحروف وصفاتها مع الفراهيدي وسيبويه وابن جني والقراء في مواضع كثيرة، واختلف مع بعضهم في تحديد بعضها، كتحديد مخرج (الألف والهمزة).
6- اختلاف علماء اللغة القدامى مع المحدثين في صفتي الهمس والجهر؛ إذ فسرها القدامى على جريان النفس أو حبسه، وفسرها المحدثون على اهتزاز الأوتار الصوتية.
7- أهمية كتاب (إعراب القرآن) في الدرس الصوتي.

التوصيات:

1- دراسة المصطلح الصوتي في كتب إعراب القرآن.
2- تبني مشروعات بحثية في الأصوات اللغوية لكتب التراث الإسلامي.

(1) النحاس, مصدر سابق, (ج5/ص116).
(2) النحاس, مصدر سابق, (ج1/ص236).

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

المصادروالمراجع:

1- الأستراباذي, رضي الدين محمد بن الحسن, شرح شافية ابن الحاجب, تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون، (دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، 1395 هـ - 1975م).

2- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية, (مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة1975م).

3- بشر، كمال محمد، علم الأصوات، (دار غريب، القاهرة, 2000م).

4- الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، (دار ومكتبة الهلال- بيروت-)، عام النشر1423هـ.

5- ابن الجزري، شمس الدين محمد، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: علي حسين البواب، (مكتبة المعارف، الرياض) , الطبعة: الأولى، 1405 هـ - 1985م.

6- ابن الجزري، شمس الدين محمد، المقدمة الجزرية، شمس الدين بن الجزري، (دار المغني للنشر) , الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.

7- ابن الجزري، شمس الدين محمد، النشر في القراءات العشر، (المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية).

8- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة).

9- ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، (دار الكتب العلمية –بيروت) , الطبعة: الأولي 1421هـ- 2000م.

10- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين – بيروت)، الطبعة: الرابعة 1407هـ-1987م).

11- حسان، تمام عمر، مكتبة الأنجو المصرية.

12- أبو حيان، محمد بن يوسف أثير الدين، ارتشاف الضرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، (مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1998م).

13- ابن خالويه, أبو عبد الله الحسين بن أحمد, الحجة في القراءات السبع, تحقيق: عبد العال سالم مكرم, (دار الشروق – بيروت), الطبعة: الرابعة، 1401 هـ

14- ابن خالويه, أبو عبد الله الحسين بن أحمد, ليس في كلام العرب, تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (الطبعة: الثانية، مكة المكرمة، 1399هـ - 1979م).

15- ابن درستويه, أبو محمد عبدالله بن جعفر, تصحيح الفصيح وشرحه, تحقيق: محمد بدوي المختون، (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية [القاهرة]، 1419هـ - 1998م).

16- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م).

17- الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا) , الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م.

18- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، رسالة منازل الحروف، تحقيق: إبراهيم السامرائي، (دار الفكر – عمان).

19- الزمخشري، محمود بن عمر جار الله، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: د. علي بو ملحم، (مكتبة الهلال – بيروت) , الطبعة: الأولى، 1993م).

20- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، (مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت).

21- السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي, (دار الفكر العربي- القاهرة، الطبعة الثانية، 1997).

22- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1408هـ - 1988م).

23- ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العلمية – بيروت), الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000م.

24- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، همع الهوامع, تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (المكتبة التوفيقية – مصر).

25- الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، (دار العلم للملايين، الطبعة الأولى 1379هـ - 1960م).

26- عبد التواب، رمضان حسن عمر، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، (مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الثالثة 1417هـ - 1997م).

27- العبد، فريال زكريا، الميزان في أحكام التجويد، دار الإيمان – القاهرة.

28- ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله، المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق: د. محمد كامل بركات، جامعة أم القرى (دار الفكر، دمشق - دار المدني، جدة) , الطبعة: الأولى، (1400 - 1405 هـ).

29- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، (الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، 1416هـ 1995م).

30- عمر، أحمد مختار عبد الحميد، البحث اللغوي عند العرب، (عالم الكتب، الطبعة: الثامنة 2003م).

31- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر) , عام النشر: 1399هـ - 1979م.

32- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، (دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى).

33- الفراهيدي، الفراهيدي بن أحمد، العين، د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال).

34- فندريس, جوزيف Joseph Vendryes, اللغة, تعريب: عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص، (مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م).

35- ابن المبارك، أبو محمد عبد الله، الكنز في القراءات، تحقيق: خالد المشهداني، (مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة)، الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2004م.

36- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، (عالم الكتب. – بيروت).

37- المصري، محمود بن علي، العميد في علم التجويد، تحقيق: محمد الصادق، (دار العقيدة-الأسكندرية) , الطبعة الأولى, 1425هـ.

38- النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ).

39- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001م).